

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

الأسرة وإدمان المخدرات في المجتمع الجزائري – تحليل سوسيولوجي –

Family and Drug Addiction in Algerian Society - A Sociological Analysis

د.لمزري جميلة¹، د.ريمة زنائرة²،

¹جامعة محمد الصديق بن يحيى-جيجل، (الجزائر)، d.lamzeri@univ-jijel.dz

²جامعة محمد الصديق بن يحيى-جيجل، (الجزائر)، rima.zenanra@univ-jijel.dz

تاريخ النشر: 2026/03/01	تاريخ القبول: 2026/02/01	تاريخ ارسال المقال: 2025/12/01
-------------------------	--------------------------	--------------------------------

*المؤلف المرسل

الملخص:

ترتبط سلامة البناء الاجتماعي بسلامة البناء الشخصي لأفراده، هذا الأخير تتداول على تشكيله سلسلة من المؤسسات الاجتماعية أهمها الأسرة، غير أنّ فشل هذه الأخيرة في وظيفتها التربوية يقدم للمجتمع أفراد منحرفين يهددون سلامة هذا البناء الاجتماعي. وفي هذا المقال سيتم تحليل ظاهرة إدمان المخدرات في المجتمع الجزائري كظاهرة مرضية تضرّ بسلامة البناء الاجتماعي من خلال تحليل ارتباطاتها بمؤسسة الأسرة وكيف أن هذه المؤسسة الهامة تلعب الدورين فيمكن لها أن تساهم في خلق الظاهرة كما أنّها في الوقت نفسه تعتبر من أهم آليات مكافحتها.

الكلمات المفتاحية: المخدرات; الإدمان; الأسرة; تحليل سوسيولوجي

Abstract :

The integrity of the social structure is linked to the integrity of the personal structure of its members. The latter is formed by a series of social institutions, the most important of which is family. However, the failure of the latter in its educational function presents society with deviant individuals who threaten the integrity of this social structure. This article will analyze drug addiction in Algerian society as a pathological phenomenon that undermines the social fabric, by examining its links to the family institution and how this important institution plays both roles: it can contribute to the emergence of the phenomenon while simultaneously serving as one of the most important mechanisms for combating it.

Keywords: Drugs ; Addictio ; Family ; Sociological Analysis.

مقدمة:

إنّ التغيّر السريع الذي يشهده العالم ككل مسّ جميع الفئات العمومية، وذلك لما تشهده من بروز بعض السلوكات والظواهر الاجتماعية لم تكن معهودة من قبل. والمجتمع الجزائري شأنه شأن باقي المجتمعات ونتيجة التطور العلمي والتكنولوجي نلاحظ بروز ظواهر جديدة وزيادة نسب ظواهر اجتماعية أخرى لم تكن بهذه الحدة مقارنة بالسابق، ومن أبرز وأهم الظواهر نجد ظاهرة الإدمان على المخدرات والتي تعدّ من أخطر الظواهر الاجتماعية التي تؤثر على استقرار المجتمع وتهدد صحة الفرد ومستقبله.

في هذه الورقة البحثية نحاول تحليل ظاهرة الإدمان على المخدرات في المجتمع الجزائري بالموازاة مع بعض المعطيات السوسيولوجية التي تخصّ العالم ككل والمجتمع الجزائري خصوصاً معتمدين في ذلك على قراءة واقع وفهم الظاهرة في ظل بعض الأنساق الكبرى وأهمها نسق الأسرة التي تعتبر الركيزة الأولى لبناء أي مجتمع سليم ومستقرّ. ولإعطاء صبغة التحليل العلمي الدقيق للظاهرة نقدم في هذا العرض بعض المفاهيم ذات الصلة بالموضوع مع تقديم بعض خصائص ظاهرة تعاطي المخدرات كما نطرح أهمية التحليل السوسيولوجي لمثل هذه الظواهر في المجتمع ونحاول تقديم رؤى سوسيولوجية لتمظهر وتوقع الظاهرة في المجتمع الجزائري مركزين في ذلك كما سبق القول على النسق الأسري (المعاملة الأسرية خصوصاً)، وفي الأخير نقدم بعض الميكانيزمات للحدّ من ظاهرة تعاطي المخدرات في المجتمع الجزائري.

المبحث الأول: مفاهيم أساسية

المطلب الأول: مفهوم المخدرات، الإدمان

المخدرات: تعرّف على أنّها كل مادة طبيعية أو مستحضرة في العامل من شأنها إذا استخدمت في غير الأغراض الطبية والصناعية الموجهة أن يؤدي إلى حالة التّعود والإدمان وتضر بالصّحة الجسمية والنفسية والاجتماعية للفرد والجماعة.

تعرف على أنّها: "هي مادة يترتب على تناولها إتهاك الجسم والتأثير على العقل حين تكاد تذهب به وتكون عادة الإدمان التي تحرمها القوانين الوضعية وأشهرها: الحشيش، الأفيون، المورفين، الهيروين، الكوكايين،... وغيرها.¹

الإدمان: "يقصد بمصطلح الإدمان تكرار تعاطي المواد المخدرة الطبيعية (ذات الأصل النباتي) أو المصنعة (مواد نباتية تمّس تصنيعها) أو دوائية (المنومات والمهدئات) وتعود الشخص عليها لدرجة الاعتماد، بمعنى آخر صعوبة الإقلاع عنها مع حاجة الجسم بين فترة وأخرى إلى زيادة الجرعة، فتصبح حياة المدن تحت سيطرة هذه المادة وفي حالة الإقلاع عنها أو الامتناع تظهر على المدمن أعراض استجابية مختلفة، كالعجز عن الحركة، اضطرابات هضمية، عدم القدرة على التركيز، تشنجات عضلية.

حسب "Parot" نسمي الإدمان التعود المطول على تناول بعض المواد والمخدرات، التي يتم الحصول عليها صدفة أو البحث عنها، هذا الميل إلى المخدر في البداية يكون ارضاءً للرغبات، ولكن سرعان ما يصبح عادة قاسية حيث يزيد المدمن من جرعات المخدر، ولا يستطيع الإقلاع عنه.²

المطلب الثاني: مفهوم التحليل السوسيولوجي

التحليل: مصدر حَلَل (جمع مؤنث السالم) تحليلات وتحاليل عملية تقسيم الكل إلى أجزائه وردّ الشيء إلى عناصره: بحث تحليلي يتخذ التحليل أساسًا ومثله دراسة تحليلية.³

ويرى "محمد عاطف غيث": "أن هذا المصطلح يشير إلى عمليات تجزئة الكل إلى مكوناته البسيطة، في مقابل التركيب الذي يعني إعادة بناء الأفراد في وحدات كلية".⁴

سوسيولوجي: نسبة إلى كل ما تعلّق بالمواضيع والظواهر التي يدرسها علم الاجتماع، والسوسيولوجيا (علم الاجتماع) مصطلح ابتكره "أوجست كونط" للدلالة على كل ما كان يسميه بادئ الأمر بالفيزياء الاجتماعي، أي دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها تشكّل مجالاّ لمؤثرات طبيعية خاضعة لقوانين على غرار الظواهر الفيزيائية والبيولوجية. فالتحليل السوسيولوجي أو الدراسة التحليلية تعني تفكيك الظاهرة المدروسة إلى أجزاء، تمكّن الباحث من دراستها دراسة علمية وفق المناهج، والنظريات العلمية والمفاهيم السوسيولوجية.

المطلب الثالث: الأسرة

يعرفها "مصطفى بوتفنوشت" أنّها: إنتاجا اجتماعيا يعكس صورة المجتمع الذي توجد وتتطور فيه، فإذا اتصف المجتمع بالثبات اتصفت الأسرة بالثبات، وإذا اتّصف المجتمع بالتقدم والتغير والتطور تغيّرت الأسرة بتغير ظروف هذا المجتمع".⁵

كما تعرّف بأنها المدرسة الاجتماعية الأولى التي يتعلّم فيها الطفل أو الفرد أنماط الحياة وهي المسؤولة عن تربية الطفل وتعليمه الاتصال بالعادات وجعله قادر على العيش في محيطه.⁶

وتعرّف كذلك بأنها جماعة من شخصين أو أكثر تربطهما علاقات الزواج أو الدم أو التبني وتضمهم حياة منزلية واحدة ويتفاعلون معًا كل حسب دوره ومركزه.

المبحث الثاني: خصائص ظاهرة تعاطي المخدرات

إنّ تعاطي المخدرات هو سلوك انحرافي قبل كل شيء، وعليه فإن خصائص هذا السلوك تندرج ضمن خصائص السلوك الانحرافي عمومًا مع وجود بعض خصائص أخرى أكثر تميّزًا لهذا السلوك، ومن أهم هذه الخصائص:

- سلوك يرفضه المجتمع وينبذه القانون والمجتمع معًا.

- سبب تعاطي المخدرات غالبًا يرجع لعوامل اجتماعية، اقتصادية أو نفسية أو ثقافية... الخ، وهذا ما ينطبق على أيّ سلوك انحرافي في المجتمع.

- ظاهرة تعاطي المخدرات تتعقد وتتطور بتطور وتعقد المجتمع.

- لفهم ظاهرة تعاطي المخدرات لابد من تحليل كل كبيرة وصغيرة تخص المتعاطي وبيئته الاجتماعية والثقافية، أي معالجة الظاهرة في سياقها الاجتماعي، الثقافي، الاقتصادي، والابتعاد على التحليلات التي تركز على ذات المنحرف (أو المتعاطي) فقط فهي تحليلات ناقصة وغير سوسيولوجية.

- إن تعاطي المخدرات سلوك يحتاج إلى مراقبة وتكفل من طرف الأسرة والمجتمع لجميع أنساقه.

- إنّ إهمال أو عدم الوعي المريض (الشخص المريض) الذي يعاني ألم ما بسبب عملية جراحية أو مرض خطير أحياناً يوقع الفرد في الإدمان على المخدرات دون قصد منه، وذلك بسبب سوء استخدام المهدئات بانتظام أو دون رقابة طبية فيجد نفسه مدمن دون إلحاح أو وعي منه بمعنى دون وجود بسبب أو دافع اجتماعي لهذا السلوك.

- تعاطي المخدرات ظاهرة عالمية: تخص المجتمعات الغنية والفقيرة، العربية والغربية، وطبعًا تختلف مستوياتها ومظاهرها، وكذلك طرق معالجتها من بلد لآخر.

- تعاطي المخدرات سلوك مكتسب فلا يمكن لأيّ إنسان يولد مدمن على هذه المواد المخدرة.

- تعاطي المخدرات يجب اعتباره سلوك "اجتماعي" قبل اعتباره انحراف،⁷ وعليه يجب تحليله سوسيولوجيا شأنه شأن باقي السلوكات الاجتماعية.

المبحث الثالث: واقع تعاطي المخدرات في المجتمع الجزائري

تميزت حصيلة نشاطات مكافحة تهريب واستهلاك المخدرات والمؤثرات العقلية من قبل مصالح المكافحة خلال سنة 2022 بحجز 58258.031 كغ من راتنج القنب و61844.897 غ من الكوكايينو 11351813 قرص من مختلف أنواع المؤثرات العقلية (الديوان الوطني لمكافحة المخدرات وإدمانها، 2022، ص 3). والكميات المحجوزة حسب حيازة واستهلاك والسنوات موزعة في معطيات الجدول رقم 01:

أصناف المخدرات	الحيازة والاستهلاك خلال 2021	الحيازة والاستهلاك خلال 2022	التغير
القنب (كلغ)	120.353	53.565	-66.788
الكوكايين (غ)	77.012	368.886	291.874
الكراك	4	-	-4
المهيروين (غ)	20.773	102.91	82.137
الأفيون	789.8	126.3	663.5
	83 نبتة	191 نبتة	108 نبتة
المؤثرات العقلية (الأقراص)	559902	134399	-425503
	304 قارورة	324 قارورة	20 قارورة

جدول رقم 01: حيازة واستهلاك أصناف المخدرات خلال 2022/2021⁸

لقد انخفضت كمية من خلال الجدول رقم 01 والذي يوضح كميات المخدرات والمؤثرات العقلية المحجوزة من أجل الاستهلاك حسب الأصناف، تبين أن هناك ارتفاع في استهلاك المخدرات في ظرف سنة واحدة ما عدا استهلاك القنب والمؤثرات العقلية (غير أن الأقراص عرفت ارتفاعا)، حيث انخفضت كمية القنب المحتجزة من 120.353 كغ سنة 2021 لتصل إلى 53.565 كغ سنة 2022 في حين ارتفعت كمية حيازة واستهلاك الكوكايين من 77.012 غ سنة 2021 إلى 368.886 غ سنة 2022، كما عرفت الكميات المحجوزة الموجهة للاستهلاك من المهيروين هي الخرى ارتفاعا كبيرا في ظرف سنة واحدة فقط إذ قدرت بـ 102.910 غ بعد أن كانت تقدر بـ 20.773 غ. إلا أن الملفت للانتباه هو انخفاض كميات الأفيون المحجوزة من 787.8 غ سنة 2021 إلى 126.3 غ سنة 2022 في المقابل ارتفاع الكميات المحجوزة من نبات الأفيون بل تجاوزت الضعف و قدرت بـ 191 نبتة عام 2022 بعد أن كانت تقدر بـ 83 نبتة عام 2021.

إذن عصابات التهريب والاتجار بالمخدرات لا تعمل على توفير وتقريب المخدرات والمؤثرات العقلية من الجزائر وإنما هناك إستراتيجية تهدف إلى إنتاج وزراعة هذه السموم في الوطن، وهذا ما تؤكدته الكميات المحجوزة من المخدرات والتي تم اكتشافها وإتلافها من طرف مصالح الأمن والمقدر عددها بـ 2485 نبتة من نبات القنب و 191 نبتة من نبات الأفيون سنة 2022.

لقد انخفضت كمية المحجوزات من المؤثرات العقلية لكن ليس بكل أنواعها إذ ارتفعت عدد قارورات السوائل المحجوزة من 304 قارورة عام 2021 إلى 324 قارورة سنة 2022، وهذا دليل على أن المخدرات أصبحت متفشية بكل أصنافها في المجتمع الجزائري ولقد أخذت منعرجا خطيرا وهذا ما تؤكدته إحصائيات الأمم المتحدة في التقرير العالمي حول المخدرات قائلة: "ضبطيات الكوكايين العامة المسجلة في إفريقيا بأكملها خلال 2018 هي الأعلى المسجلة في تلك المنطقة خلال آخر عقدين بواقع 5.6 طن بزيادة 65% مقارنة بالعام السابق، جاء ذلك

نتيجة الكميات الكبيرة للكوكايين المضبوطة والمسجلة في عدد من الدول بما في ذلك المغرب والجزائر وجنوب إفريقيا ونيجيريا عام 2018".

من هنا نستنتج أن الجزائر لم تعد بلد عبور فقط كما كانت منذ سنوات بل أصبحت دولة مرشحة لأن تكون بلد استهلاك وإنتاج في نفس الوقت، وهذا ما يؤكد الديوان الوطني لمكافحة المخدرات وإدمانها "عدد المتعاطين للمخدرات وصل إلى نصف مليون متعاطي خلال 20132 مع العلم أن العدد الحقيقي يكون أكبر بكثير" لأنه يصعب تحديد ما يروج فعلا من المخدرات إذ غالبا ما يلجأ التجار والمروجين إلى طرق ملتوية لا تصل إليها دائما المصالح الأمنية، لهذا سنحاول من خلال معطيات الجدول الموالي التطرق للكميات المحجوزة من القلب والمؤثرات العقلية في الجزائر حسب جهات الوطن في سنة 2022.

الجهات	راتنج القنب (كغ)	المؤثرات العقلية (قرص)
الغرب	34298.817	1704128
الجنوب	19332.084	3598987
الشرق	1789.583	2198035
الوسط	1837.547	3850663
المجموع	58258.031	11351813

جدول رقم 02: توزيع الكميات المحجوزة من القنب والمؤثرات العقلية حسب جهات الوطن (الغرب، الجنوب، الشرق، الوسط)⁹

بناء على معطيات الجدول رقم 02 والذي يبين توزيع الكميات المحجوزة من راتنج القنب والمؤثرات العقلية طرف مصالح مكافحة الثلاثة (الدرك الوطني والمديرية العامة للأمن الوطني والجمارك) يتضح أن راتنج القنب (المعروف بالكيف أو الحشيش) ينتشر كثيرا في غرب الجزائر وهذا ما تؤكد كمية المحجوزات والمقدرة بـ 34298.817 كغ أي بنسبة 58.87% تليها الجنوب بكمية محجوزات تقدر بـ 19223.084 كغ أي ما نسبته 33.18% في حين لا ينتشر الكيف أو الحشيش بقوة في وسط البلاد حسب الكميات المحجوزة من طرف مصالح الأمن والمقدرة بنسبة 3.16% فقط، بينما تأخذ المؤثرات العقلية منحى آخر حسب إحصائيات الديوان الوطني لمكافحة المخدرات إذ تنتشر في كل ربوع الوطن ينسب متقاربة نوعا ما أين يتصدر الوسط مكان الصدارة في كمية المحجوزات بنسبة تقدر بـ 33.92% لكن تليها مباشرة الجنوب بنسبة 31.71% ثم الشرق والغرب على التوالي حسب النسب التالية 19.36% و 15.01%. ويمكن أن نفسر هذا بشساعة التراث الوطني وموقعها الجيو-إستراتيجي المطل على البحر الأبيض المتوسط بشريط ساحلي يقدر بـ 1622 كلم وحدود برية تقدر بـ 6.343 كلم، وتقاسمها الحدود مع المملكة المغربية بحوالي 1559 كلم، والتي تعد أكبر منتج لراتنج القنب في العالم، وتقاسمها الحدود مع فئة الشباب هي الفئة الأولى المستهدفة بالمخدرات و 70% من سكان الجزائر سنهم أقل من 30 سنة.

المبحث الرابع: المحيط الأسري وظاهرة تعاطي المخدرات في المجتمع الجزائري

إنّ الأسرة هي اللبنة الأساسية لبناء المجتمع نظراً لأهميتها في الحياة الاجتماعية وتنشئة الفرد والتي من خلالها تكون مسؤولية الآباء والأمهات في تحويل الكائن السوسولوجي إلى كائن اجتماعي، ونظراً لأهميتها يمكن القول أن تماسك المجتمع أساسه التماسك الأسري وسلامة المجتمع من سلامة الأسرة.

وعليه يمكن القول أنّ أي خلل أو اضطراب يصيب الأسرة من شأنه أن يحدث اضطرابات واختلالات في المجتمع ككل. وهذا ما ركّز عليه رواد البنائية الوظيفية وعلى رأسهم "اميل دور كايم" إذ يرون أن المجتمع وحدة متكاملة تتكون من مجموعة أنساق مترابطة وأي خلل بأحد هذه الأنساق يؤثر في استقرار النظام العام (المجتمع).

وإذا تحدثنا عن ظاهرة تعاطي المخدرات في المجتمع الجزائري نجد اليوم أن الأسرة الجزائرية (كأحد أهم وأكبر نسق في المجتمع) هي الأخرى لها النصيب الأكبر في التحليل من خلال شقين مهمين جداً، الشق الأول التأثيرات السلبية للظاهرة على استقرار الأسرة وتوازنها، والشق الثاني من خلال اعتبار أن أحد أهم أسباب تعاطي المخدرات في المجتمع الجزائري (خصوصاً الشباب) يرجع إلى مشاكل أسرية ذات صلة وثيقة بأساليب التنشئة الوالدية.

إذن وللوصول إلى فهم حيثيات واقع الأسرة الجزائرية وظاهرة تعاطي المخدرات نحاول تقديم وشرح للشقين السابقين:

المطلب الأول: التأثيرات السلبية للظاهرة على استقرار الأسرة الجزائرية

- نقل السلوك الانحرافي (تعاطي المخدرات) إلى أفراد الأسرة من أب إلى ابن، أو أخ إلى أخيه...الخ.
- غياب الأمان والاستقرار في الأسرة، ومذلك ما نجده من خلال بعض الجرائم (خصوصاً جريمة القتل)، فجزء كبير منها بسبب المخدرات، إذ نجد قتل الابن لأبيه، أو أي أحد من أفراد أسرته.
- التأخر الدراسي للأبناء بسبب الإهمال وعدم مسؤولية المدمن اتجاه عائلته (الأبناء خصوصاً).
- التأثير على صحة الأفراد النفسية والجسمية.
- عنف أسري.
- تفكك أسري (طلاق، طلاق معنوي).

- تشكّل عبثاً اقتصادياً على دخل الأسرة بسبب المداومة عليها والاستمرار في تعاطيها، مما قد يسبب في بعض الحالات جرائم، سرقة أو التسول أو حتى عمل غير أخلاقي (مثل ممارسة الدعارة) لسد احتياجات المتعاطي.

المطلب الثاني: المحيط الأسري كعامل من عوامل انتشار ظاهرة تعاطي المخدرات في المجتمع الجزائري:

توجد العديد من عوامل الظاهرة ذات الصلة الوطيدة بالمحيط الأسري لكن في هذه الدراسة حاولنا التركيز على المعاملة الوالدية خصوصاً لما تشكله من أهمية قصوى في انتشار الظاهرة بالمجتمع الجزائري.

فالأسرة الجزائرية اليوم تفقد ثلثة من أبنائها ظاهرة تعاطي المخدرات، وهذا يدق ناقوس الخطر ويستدعي فهم واقع وبسبب ذلك وأكد هناك من القراءات والتحليلات في هذا الشأن أبرزها الإهمال الأسري وغياب الحوار داخل الأسرة الجزائرية في ظل التغير الذي طرأ على نمط العلاقات الاجتماعية، طغيان التكنولوجيا وتغير الوسائل

الإعلامية وتطور التكنولوجيا والاستعمال المفرط للهواتف النقالة... الخ، كل هذه التغيرات الحديثة والسريعة والشاملة، التي مست الجانب الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

فللأسرة دور مهم جدا في تنشئة الفرد تنشئة سليمة والعكس وقد تكون سببا في انحرافه خصوصا ومع إجماع العلماء على أهمية الأسرة وأثرها العميق في تنشئة الطفل الاجتماعية، نراهم يحرصون على إبراز دور الأبوين بعامّة والأم بخاص في هذا المجال، إذ من المعلوم أن الوالدين يمثلان القوة الأولى المباشرة في التنشئة التي تمارس تأثيرها على الطفل منذ ولادته، ويظلّ تأثير هذه القوة حتى مرحلة متأخرة من العمر، بل وقد يظلّ مفعولها واضحا بشكل أو بآخر في سلوك الطفل طيلة حياته، وإن كل يدخل على هذا التأثير كثير من التعديل والتغيير نتيجة لتعدد المؤثرات كلما تقدمتم السن بالطفل.¹⁰

ويؤكد العلماء على دور الأم الرئيسي والمركزي في تنشئة الطفل خاصة في السنوات الأولى من حياته، فالأم هي أول وسيط للتنشئة الاجتماعي وهي أول ممثل للمجتمع يقابله الطفل.¹¹

أما الأب فإن وجوده ومشاركته في الأسرة يساعدان الطفل على التخلي عن اعتماده على الأم، ويعدّ مصدرا رئيسيا للضغط على الطفل لتعديل علاقات الحب المبكرة بالنسبة لأمه، وما دام الأب عادة يقضي خارج المنزل وقتا أطول مما يقضي داخله، فإن ينظر إليه مثلا للعالم الخارجي، كما ينظر إليه على أنه مصدر مهم لتوسيع آفاق الطفل ونقل الشعور بالنظام الاجتماعي إليه.¹²

من المعلوم أن الأسر تتمايز في طرق تنشئتها لأطفالها وأساليب معاملتها لهم، وقد أصبح من المسلم به في الوقت الحاضر لدى علماء الصحة النفسية والباحثين في علم النفس الاجتماعي بأن أساليب التنشئة الاجتماعية والاتجاهات الوالدية في المجال تترك آثارها سلبا أو إيجابا على شخصية الأطفال وسلوكياتهم ويعزى إليها مستوى الصحة النفسية الذي يمكن أن تكون عليه شخصيتهم كراشدين فيما بعد.¹³

فسوء المعاملات الأسرية التسلط، الإهمال، التدليل، القسوة، إثارة الألم النفسي قد يكون من الأسباب الرئيسة لظاهرة تعاطي المخدرات في المجتمع الجزائري خاصة مع خروج المرأة للعمل وفي بعض الحالات يكون على حساب تنشئتها ومراقبتها للأبناء، وكذلك تغير نمط الأسرة الجزائرية من أسرة ممتدة إلى أسرة نوية (أب وأم وأبناء فقط)، وفي حالة غياب الدور الوالدي مشكلة والطامة الكبرى والمعضلة التي تواجه الآباء الآن في الجزائر (خاصة) والعالم ككل هي الفجوة الجيلية والهوة الموجودة بين الأبوين والجيل الجديد من بين أكبر التحديات التي تصيب الأسر الجزائرية اليوم، إذ جيل الآباء والأمهات ترى على القيم والأخلاق المتوارثة من الأجداد دون وجود منافس إعلامي في التنشئة، فالحيط الاجتماعي سابقا يعمل بطريقة ضمنية على ضبط الأفراد (الجار يربي، التلفزيون البسيط يوعي، المدرس يربي ويعاقب أحيانا)، أما الجيل الحالي جيل التكنولوجيا فهم نشؤوا وتربوا أيضا على القيم والأخلاق المتناسبة مع قيم المجتمع الجزائري، لكن مع وجود منافسين أبرزها أحدث الابتكارات والتقنيات وبزمن متطور، سريع، رقمي أثر بشكل غير مباشر على تنشئته، ونجد ما يسمى اليوم أطفال الشاشات. كل هذا طبعا نتج عنه غياب الحوار الأسري، وأحيانا تذبذب في أساليب التنشئة الأسرية، مما يسبب تفضيل الطفل للشارع عن المنزل، ويعتبر الشارع متنفس له وللأسف أحيانا يعتبر رقابة أسرته له نوع من التدخل في شؤونه بتأثير من رفقة وأصدقائه، والطامة الكبرى

أن الشارع لا يرحم فالطفل الذي لم تتعامل معه الأسرة بطريقة سوية (غياب الحوار، غياب الدعم، التوبيخ المستمر....الخ)، يجد نفسه تراتح مع شلة أصدقاء ويقضي معظم وقته معهم ويطرح همومه وشكواه لأصدقائه، لكن بعض الحالات هناك أصدقاء بدلاً أن يكونوا يدعون له قد يكونوا سبباً في هلاكه (إذا كانوا منحرفين)، ويتعلم منهم سلوكات غير مقبولة منها تعاطي المخدرات فبادئ الأمر تبدأ بمزحة تذوق لتتسلى الهموم والمشاكل، ويتكرر الفعل مرتين أو أكثر حتى يصل إلى حد التعاطي والإدمان، وهذا يشكل مأزق كبير على جميع المستويات: الصحية، النفسية، المادية...الخ، فالصحبة المفسدة تحوّب ما بنته الأسرة، وذلك بتأثيرهم وتقليدهم سلوكات بعض، وهذا ما تحدث عنه "غابريال تارد Gabriel Tard" إذ استخدم عملية "التقليد" لتعليل انتقال الصور الاجتماعية ولتعليل ثباتها، ويخضع التحليل حسبه للقوانين المنطقية وغير المنطقية على السواء، ويتكون المجتمع حسبه من جماعة من الناس قادرين على تقليد أحدهم الآخر.¹⁴

وفي هذا السياق أيضاً قد استنتق "تارد" واقع السلوك الانحرافي (ومنه سلوك تعاطي المخدرات) لدى بعض الفئات المنحرفة بوجود عامل التأثير، وهذا الأخير يتشكل عن طريق ميكانيزمات التقليد التي تقود بالفرد المنحرف إلى ارتكاب سلوكات متقاربة أو متشابهة مع سلوكات الشخص الذي يقلده ويتأثر به، فالإهمال الأسري أو أي خلل في التنشئة الأسرية إلى تقليد الطفل والشباب لرفقائه ومنه انتشار ظواهر الانحرافية منها وأخطرها تعاطي المخدرات.

المبحث الخامس: أساليب التنشئة الأسرية كعامل دافع لتعاطي المخدرات

تعتبر الأسرة من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تولي لها المجتمعات على اختلافها مهمة تكوين الأفراد وتربيتهم كونها المهدي الأول الذي يتشرب منه الوليد البشري دروسه الاجتماعية والوعاء الأول الذي ينقل القيم والمعايير الاجتماعية لهذا الكائن البشري، كما أن ارتباطات الأفراد بمؤسسة الأسرة ليست آنية كباقي المؤسسات (المدرسة، الرفاق...) بل هي ارتباطات مستمدة وذات بعد روحي أكثر منه مادي ولهذا فتأثيرها في أفرادها كبير ومهم وهذا التأثير ليس دائماً إيجابياً، فقد تحول الظروف المختلفة دون قيام الأسرة بوظيفتها على أكمل وجه وبدل أن تنتج لنا الفرد المتكيف مع المعايير الاجتماعية تنتج لنا فرد خارج عن القيم والمعايير وبتعبير أدق فرد منحرف.

فتفكك النسيج الاجتماعي للأسرة أو انتهاج الوالدين سلوكات خاطئة في التربية يجعل الفرد يبحث عن وسائل تعويضية لمعاناته داخل المحيط الأسري كالتقوقع على الذات وتعاطي المخدرات وعدم الانصياع للقيم والمعايير والتمرد فحسب دراسة محمد التهامي سنة 2015 حول أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية للأسرة على تعاطي الشباب للمخدرات فإن انعدام وجود الصلات العاطفية التي تشبع الدفء والاستقرار النفسي بين أفراد الأسرة يحرم الأبناء في سنواتهم الأولى من التكامل النفسي السوي، ويؤدي إلى الإحساس بعدم الأمن والاطمئنان النفسي للعائلة ثم المجتمع فيما بعد، ومع غياب ملجأهم الوحيد يبدوون في البحث عن البديل رفقاء السوء وتعاطي المخدرات والخمور ومجموعة من السلوكات المنحرفة.

تجمع الدراسات التي تصبّ في الحقل النفس اجتماعي أن أساليب التنشئة الأسرية غير السوية تنتج للمجتمع فرداً غير متوازن وفي الغالب منحرف ومن أشهر الأساليب التنشئية الأسرية غير السوية نجد أسلوب القسوة والعنف

وأسلوب الإهمال وأسلوب التذبذب وأسلوب التدليل وأيضا التفرقة بين الأبناء وكل هذه الأساليب تصنع مصاعب أمام الفرد في وضع حدود تربوية سليمة والدخول في دائرة إلزامية من التفاعل السلبي بين الطفل ووالديه ونمو الطفل في اتجاه سلبي كأن ينتهج الطفل سلوكيات انحرافية مثل تعاطي المخدرات حيث أن:

- ضعف الروابط العاطفية داخل الأسرة تجعل الطفل يشعر بنقص عاطفي يحاول تعويضه خارج المنزل، ومع الوقت قد يلجأ إلى جماعات الرفاق الذين يوفر لهم شعورا بالانتماء والدعم، ويمكن أن تكون هذه الرفقة تضم متعاطين للمخدرات، فيبدأ التجربة بدافع القبول الاجتماعي داخل هذه الجماعة فيصبح تعاطي المخدرات وسيلة اندماج لتحقيق الانتماء خارج الأسرة.

- كما أنّ التنشئة الأسرية المبنية على التسلط والقمع والعقاب الشديد والصرامة المفرطة تولد لدى الفرد شعورا بالتمرد والكبت في الغالب فيبحث عن متنفس نفسي قد تكون المخدرات إحدى وسائله للهروب من السلطة والقسوة الأسرية فتصبح المخدرات وسيلة لرفض السلطة المفروضة عليه.

- وعلى العكس من القسوة فإن التدليل المبالغ فيه قد يخلق شخصية اعتمادية غير قادرة على تحمل المسؤولية ومواجهة الضغوط، مما قد يخلق فردا ضعيفا أمام الإغراءات فيقع ضحية للمخدرات.

- كما أنّ إهمال الأبناء وعدم المتابعة الأسرية وغياب الرقابة يجعل الطفل حرا في اختيار بيئته ورفاقه دون توجيه، فيدفع هذا الفراغ التربوي الطفل إلى التعرف على رفقاء أكثر قد يكونوا من بينهم متعاطي مخدرات فيجرب الطفل المخدرات دون رادع أو رقابة.

- كما أنّ للعنف الجسدي واللفظي تأثيراته على حياة الأطفال، فقد يسبب صدمات نفسية تؤدي إلى القلق والاكتئاب وفقدان الشعور بالأمان فيدمن الأطفال هروبا من هذا الواقع وتخفيفا للألم النفسي الناتج عن هذه المعاملة فتصبح المخدرات هنا بمثابة مسكن نفسي للاضطرابات الوجدانية الذي يخلفها العنف الأسري.

- إنّ وقع الأساليب التي يتبعها الآباء في تربية الأطفال على شخصيتهم كبير ذلك أن الآباء هم النموذج والقُدوة الأولى التي يتعرف عليها الأطفال والمصدر الأول للأمان، فإذا غاب هذا الأمان أو قدم نموذجا سلبيا للطفل، فمما لا شك فيه أن شخصية هذا الطفل ستكون هشّة ومهزوزة وناقصة، وقد تكون المخدرات هي السبيل لتغطية هذا النقص وهذه الهشاشة.

خاتمة:

ختاماً يمكننا القول أنّ ظاهرة تعاطي المخدرات ظاهرة معقدة جداً وتتطوّر وتتعدّد بتعدّد أبنية المجتمع، وهذا يجرّنا إلى القول أن التغير الاجتماعي الذي أصاب الأسرة الجزائرية نتيجة الكثير من المعطيات المحلية والعالمية أفرز العديد من الظواهر الخطيرة والانحرافية، وهذا يستدعي دق ناقوس الخطر والبحث الجدي والفعال للحد من الظاهرة التي لها آثار سلبية على الفرد والمجتمع وأكد يستدعي تكاثف الجهود من جميع الجهات المعنية بالظاهرة بدءاً بالفرد إلى المجتمع ومؤسسات الدولة مع الأخذ بجهود الباحثين في هذا المجال لأنّ مثل هذه الظواهر تستدعي البحث والتقصي وقراءة المعطيات والأرقام والإحصائيات التي هي مرآة للمجتمع حتى يتم التشخيص الدقيق وبالتالي الحلول الناجعة والمجدية.

نتائج وتوصيات:

إنّ من المعتقدات السائدة والخطئة في المجتمع الجزائري (والعالم عموماً) أن المخدرات تمنح القوة والنشاط وأنّها تنسي الهموم، وأنّها تصل بالفرد المتعاطي إلى الشعور بالسعادة الفائقة، وهذه المعتقدات والأفكار الخطئة يجب التخلص منها وللأسرة الدور الكبير في ذلك، وأن تعي دورها كما ينبغي وتحاول دوماً محاربة أبنائها واتباع أساليب سليمة في تنشئتهم، لأنّ الفرد ابن بيئته، وكما يرى بعض المختصين في علم الاجتماع "أن الأفعال دون شك تتأثر وترتبط بالقيم والمعايير الموجودة في المجتمع".¹⁵

وعليه أول ميكانيزم للحد من الظاهرة لابد من الوعي الأسري القيام بدورات وندوات تحسيسية للأسر لمعرفة خطورة الأمر وأهمية دورها في هذا الشأن.

- مراقبة وسائل الإعلام والتكنولوجية (خصوصاً الهاتف النقال) من طرف الهيئات المختصة وحجب بعض المواقع، لأنّها ساهمت بطريقة أو بأخرى في تنشئة الفرد وظهور جيل لا يؤمن إلا بالشاشات (غالباً).
- إنشاء بنى وهياكل وفضاءات للشباب: نوادي رياضية، مسابقات، حتى تكون متنفس لهم.
- تعزيز الوعي الديني من خلال الأسرة أولاً والمساجد، المدارس، التلفزيون وصفحات الفيس بوك.
- فتح فرص لتوظيف الشباب وتشغيلهم لأن الفراغ أحد أهم أسباب تعاطيهم للمخدرات.
- تفعيل دور المدرسة وإعادة الاعتبار لها من خلال بعض القوانين الصارمة التي تمنع التلميذ من التغيب عن الدراسة، وإعطاء قيمة لدور معلم كما كان سابقاً يربي، يعلم، يعاقب إن لزم الأمر.
- معاقبة المتعاطين وتطبيق قوانين بصرامة خصوصاً المروجين وشبكات تهريب المخدرات.

قائمة المراجع:

1. الرميح صالح، تأثير المخدرات على التماسك الاجتماعي "الأسرة ودورها في الوقاية من المخدرات"، ندوة علمية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، 24-25/05/2025.
2. طبال لطيفة، إدمان الشباب على المخدرات في ظل التغير الاجتماعي، د س.
3. العايد أحمد وآخرون، المعجم العربي الأساسي (لاروس)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، 1989.
4. غيث عاطف محمد، قاموس علم الاجتماع، د ط، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 2006.

5. نكاز سيد أحمد ، دور البيئة الأسرية بالاشتراك مع باقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى في ظهور السلوك الإجرامي داخل المجتمع الجزائري، أطروحة دكتوراه، جامعة البليدة، 2006.
6. مشيد نبيلة: واقع تعاطي المخدرات في الجزائر، مجلة آفاق علم اجتماع، المجلد 14، العدد 1، جوان 2024.
7. همشري عمر أحمد ، التنشئة الاجتماعية للطفل، ط2، عمان، 2013.
8. الجوهري عبد الهادي، معجم علم الاجتماع، د ط، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2002.
9. Gilles Jean Ferréol et autres, Introcuton à la sociologie, Armando colin, édition 7, Paris, 2007.
10. BOUTEFNOUCHET Mostafa, Interdouction à la sociologie, les fondaments, office des publication universitaire Ben Aknoun, Alger, 2004.

الهوامش:

- ¹ صالح الرميح، تأثير المخدرات على التماسك الاجتماعي "الأسرة ودورها في الوقاية من المخدرات"، ندوة علمية، جامعة نايف للعلوم الأمنية، 24-25/05/2025، ص 6.
- ² لطيفة طبال، إدمان الشباب على المخدرات في ظل التغير الاجتماعي، د س، ص 121.
- ³ أحمد العايد وآخرون، المعجم العربي الأساسي (لاروس)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، 1989، ص 347.
- ⁴ عاطف محمد غيث، قاموس علم الاجتماع، د ط، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص 20.
- ⁵ سيد أحمد نكاز، دور البيئة الأسرية بالاشتراك مع باقي المؤسسات الاجتماعية الأخرى في ظهور السلوك الإجرامي داخل المجتمع الجزائري، أطروحة دكتوراه، جامعة البليدة، 2006، ص 23.
- ⁶ المرجع نفسه، ص 30.
- ⁷ BOUTEFNOUCHET Mostafa, Interdouction à la sociologie, les fondaments, office des publication universitaire Ben Aknoun, Alger, 2004, p 220.
- ⁸ مشيد نبيلة: واقع تعاطي المخدرات في الجزائر، مجلة آفاق علم اجتماع، المجلد 14، العدد 1، جوان 2024، ص 164.
- ⁹ مشيد نبيلة: واقع تعاطي المخدرات، مرجع سابق، ص 165.
- ¹⁰ عمر أحمد همشري، التنشئة الاجتماعية للطفل، ط2، عمان، 2013، ص 331.
- ¹¹ المرجع نفسه، ص 331.
- ¹² المرجع نفسه، ص 331.
- ¹³ المرجع نفسه، ص 332.
- ¹⁴ عبد الهادي الجوهري، معجم علم الاجتماع، د ط، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2002، ص 14.
- ¹⁵ Jean Ferréol et autres Gilles, Introcuton à la sociologie, Armando colin, édition 7, Paris, 2007, p45.